بذلت السلطات الروسية كل ما في وسعها لتشجيعها . وتوجه معظم اولئك المهاجرين الى الولايات المتحدة (واستمرت الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا الى هذا البلد منذ ذلك الوقت وحتى الربع الاول من القرن الحالي ، واسفرت عن دخول نحو ٣ ملايين يهودي الى هذا البلد) والى اميركا الجنوبية ، أكثريتهم بقواهم الذاتية وقلتهم بمساعدة بعض المؤسسات اليهودية في اوروبا الغربية ، خاصة شركة الاستيطان اليهودية (J C A) ، التي اسسها البارون هيرش الفرنسي خصيصا لهذه الغاية . كذلك توجهت اعداد قليلة من اولئك المهاجرين ، لم تزد على بضعة الاف ، الى فلسطين .

ان بداية هجرة اليهود هذه من روسيا وبولونيا لم تتم ، بالطبع ، خلسة ، اذ كانت المسألة الرئيسية التي شغلت المجتمع اليهودي هناك خلال فترة غير قصيرة ، واثارت نقاشا واسعا وحادا بين اعداد من المثقفين اليهود الروس ، نخص بالذكر منهم بيرتس سمولينسكين وموشي ليف ليلينبلوم والدكتور يهودا ليف بينسكر (مؤلف كتيب «التحرير الذاتي » — ١٨٨٣) واليعزر بن يهودا . ويلاحظ عند الاطلاع على آراء اولئك المثقفين (وبعضهم تزعم حركة الهجرة الى فلسطين فيما بعد) من كتاباتهم المختلفة ان تفجر المسألة اليهودية في روسيا ، بالشكل الذي تم ، اوقعهم في حيرة وذهول ودفعهم الى التخلي تدريجيا عن مواقفهم السابقة الداعية الى العمل على ايجاد حل بواسطة تفاهم مع السلطات ، بعد الغاء اجراءاتها المناهضة لليهود ومنحهم حقوقهم المدنية ، اسوة بيهود اوروبا الغربية ، وتبني موقف اخر يدعو الى تأييد هجرة اليهود من روسيا وبولونيا . ومع الاقتناع بضرورة هجرة اليهود من بلدانهم تلك ، بدأ الحديث عن اقامة دولة يهودية في مكان ما ، وهو المكان الذي سرعان ما حددته الفئات المتدينة التي راحت تفرض زعامتها تدريجيا على هذه الدعوات واصحابها بأنه فلسطين ، دون غيرها . ويلاحظ ايضا من كتابات المثقفين والمفكرين اليهود الذين اشرنا لهم ، دون استثناء ، ومن كتابات غيرهم ان دعوتهم الى اقامة دولة يهودية في فلسطين تأثرت بشكل واضح للغاية بالمناخ السياسي الذي كان سائدا في اوروبا يومها ، وخاصة حصول عدد من الشعوب على الاستقلال والحكم الذاتي من جهة وازدياد نشاط الاستعمار وتعاظم نفوذه وسيطرته في اسيا وافريقيا من جهة اخرى . وبمقارنة اوضاع اليهود مع اوضاع الشعوب التي كانوا يعيشون بينها ، ومن خلال التفتيش عن حل للمشاكل التي تجابههم ، توصل اولئك المثقفون الذين تزعموا الدعاوة الصهيونية وقتها ، الى نتيجة مفادها ان اليهود لا يقلون شأنا عن باقي الشعوب الاوروبية ، وكما يحق لتلك الشعوب الحصول على استقلالها او استعمار مناطق معينة في اسيا وافريقيا ، يحق لليهود ايضا المطالبة « باستقلالهم » وترك البلدان التي يعيشون فيها واستعمار جزء خاص بهم — في فلسطين وجوارها بالطبع ، نظرا للعلاقات التي تربط اليهود بفلسطين عقب نشوء ديانتهم فيها — بل ان اليهود ، نظرا للمشاكل الخاصة التي تعترضهم والاضطهاد الذي يلاقونه هنا وهناك ، احق من غيرهم في ذلك .

وبهذا يكون التشبه بالاستعمار ومحاولة السير على خطاه اول عنصر في مركب الصهيونية .

آحاد هعام : المستوطنون « يحتقرون العرب ... ويضربونهم »

كانت حصيلة موجة الهجرة اليهودية من روسيا وبولونيا ورومانيا خلال الفترة الواقعة بين ١٨٨١ و ١٩٠٤ قدوم نحو ٢٥ الف مهاجر الى فلسطين ، ضمن حركة هجرة عرفت فيما بعد باسم الهجرة الاولى الصهيونية ، اتجه عدد منهم الى اقامة